الفصل الثانى

القومية الصهيونية تخرج من بطن القومية الأوربية

ادعت الصهيونية أن الجنس اليهودى يشكل قومية وأخذ مفهوم القومية يسرى فى كل مشروعاتهم ومنظماتهم الاحتلالية مثل: الوطن القومى لليهود ، والصندوق القومى لليهود ، وغير ذلك .

لكن هذا الادعاء غير صحيح ؛ إذ إنهم مقلدون للقوميات الأوربية .

الفصل الثانى

القومية الصهيونية تخرج من بطن القومية الأوربية

تعود جذور القومية فى أوربا إلى عصر النهضة ، فقبل هذا العصر كانت وحدة الإيمان المسيحى تجمع شعب الكنيسة الكاثوليكية ، ولكن الحركة الإنسانية ، وثورة (مارتن لوثر) على الكنيسة أحدثت تقهقرًا فى نظرة الإنسان الأوربى للدين المسيحى ـ كما هو فى الكاثوليكية ، وبدأت المجتمعات المسيحية الأوربية تتعلمن ، أى تتجه بكليتها إلى العلمانية ، فتستمد المعرفة من العالم المادى المحسوس ، وفى الوقت نفسه تدير ظهرها للغيبى .

كان التوتر قد بدأ فى أوربا بين الدين والفلسفة فى القرون الوسطى ، وخشيت الكنيسة الكاثوليكية على سلطانها من أن ينهار ، فقام القديس أوغسطين يدافع عن اللاهوت ، وطالب بوضع حدود للعقل ، ورأى أن الله خلق العقل لكى يفهم الإيمان ويستوعبه .

وفى القرن الثالث عشر كان لملك نابولى وصقلية فريدريك الثانى (١١٩٧ ـ ١٢٥٠) الذى كان متأثرًا بالثقافة الإسلامية ، ويتكلم اللغة العربية بنفس إجادته للاتينية، قد أعجب بفلسفة ابن رشد التى تصل بين العقل والنقل، فأصدر مرسومًا بترجمة مؤلفات ابن رشد إلى اللاتينية ، وقد تكون رغبته فى ترجمة مؤلفات ابن رشد راجعة ـ بجانب إعجابه بالفكر الإسلامى ـ إلى أن فكر ابن رشد يضاد النظام الإقطاعى ـ الدينى (الثيوقراطى) فى أوربا ؛ وكان فريدريك الثانى لا يعجبه هذا النظام ، ويريد القضاء عليه .

كانت أهم محاور فكر ابن رشد قضية التأويل التى تدافع عن التفكير النسبى ضد التفكير المطلق الذى تعامل به الكنيسة الكاثوليكية الشعوب الأوربية متآمرة مع الملوك والإقطاع ، وكان لنظرية التأويل فعل السحر فى إعادة النظر فى التفكير الأوربى ، سواء التفكير الدينى أو العلمى أو السياسى ، وعند ذلك أحست

الكنيسة الكاثوليكية بالخطر الذى يهددها فوقفت ضد مقولة التأويل الرشدية فى مجال السياسة ؛ لأنها كانت ترى أن الملك ظل الله فى الأرض يتصرف بتفويض من الله ، وأن الإقطاعى يملك الأرض ومن عليها من أقنان الأرض ، ولا أحد يعارض الكنيسة، حتى جاء كوبرنيكوس، وجاليليو جاليلى، ومارتن لوثر. ولم تستطع الكنيسة ولا الملوك ، إيقاف الطريقة الجديدة فى التفكير ، خاصة عند جاليليو ، ومارتن لوثر اللذين مثلا التجدد فى مجال العلم ، وفى مجال التفكير الدينى.

ولأن السلطة الدينية كانت غاية فى الجمود ، وتتعامل مع الناس بقسوة كانت الحركة العلمانية المضادة أعظم قوة ، وأشد قسوة ، وكان لها تأثير قوى فى سلطة الكنيسة ، فبعدما كان البابا أقوى من كل الملوك ولو اجتمعوا عليه ، حصرت الحركة العلمانية سلطاته فى داخل الكنيسة .

وآمن لوثر بمقولة التأويل ، وأعملها فى تأويل نص الكتاب المقدس ، أى فهم النص بتأويله بما يطمئن به قلب المسيحى دون ما حاجة إلى سلطة كهنوتية لتفسره له ، وطالب بألا يظل البابا هو المتحكم وحده فى تفسير نص الكتاب المقدس ، مع أنه وكل الكهنوتيين بعيدين عن تعاليمه ، كما رأى مارتن لوثر أن البابا غير معصوم من الخطأ ، ولا ينبغى أن يكون هو وحده الذى يقرر أمور الإيمان .

لقد أثرت حركة العلمنة Secularisation فى المسيحية ، وفى غيرها من طرق التفكير فيما بعد .

والذى حدث فى المسيحية ـ حدث لليهودية فى أوربا ، وإن تأخر إلى القرن ١٧ السابع عشر ، وكانت البداية فى النقد التاريخى للنص العبرى للتوراة منذ نشأته حتى القرن السابع عشر ، وانتهى هذا النقد بالشك فى نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام ، واستمر النقد خاصة عند الفيلسوف اليهودى « باروخ سبينوزا » (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧م) .

وبنى « سبينوزا » نقده على مبادئ ديكارت الرياضية ، كما هو الحال فى كتاب « الأخلاق » ، فهو يدرس النص الدينى ، كما تدرس الظاهرة الطبيعية ، قبل أن يخضعه لقواعد علمية ثابتة محكومة بقوانين صارمة .

وتجرأ « سبينوزا » ذلك اليهودى الذى هربت عائلته البرتغالية من محاكم التفتيش الكاثوليكية إلى هولندا ، وهرب هو من اليهودية فانسلخ عنها ، وصرح بأن موسى عليه السلام لم يكتب الأسفار الخمسة ، الأمر المتعارف عليه بين عامة اليهود، كذلك قال : إن يشوع خليفة موسى فى قيادة اليهود لم يكتب السفر المسمى باسمه (سفر يشوع) ورأى (سبينوزا) أن روايات الأسفار الخمسة ، كما تداولها اليهود، كانت تضم إلى نص العهد القديم ، التاريخ القومى لبنى إسرائيل ، أى سجلاً قوميًا لهم ، لا كتابًا منزلاً من السماء » (١) .

وكان سبينوزا فى نقده للتوراة يخضع مقولة الواقع بدءًا من الله [عز شأنه] وانتهاء بالمادة المحسوسة ، لقوانين العقل الديكارتى الرياضى وفى كتابه « رسالة فى اللاهوت والسياسة تتجلى النتائج السياسية والاجتماعية والدينية لهذا المفهوم عن الحرية ، على أساس إقامة دولة علمانية » (٢) .

وجه « سبينوزا » الإيمان العبرانى إلى جعل طقوس العهد القديم للعبرانيين وحدهم ، بحسب التوجه الدينى العبرانى كما يرونه ، ومن هنا فإن دولة العبرانيين لا تسهم بشىء فى الفضيلة الإنسانية ، بل فى اختيار العبرانيين فحسب بالنعيم الدنيوى للأجساد ، كما هو راسخ فى العقيدة اليهودية ، وبسلامة الدولة فى تصورهم وحدهما ، ولا يكون لهما فائدة إلا من خلال وجود الدولة .

وعلى هذا الأساس ـ ومن خلال النقد أراد « سبينوزا » أن يحدد كينونة اليهودى فى القرن السابع عشر ، كما أراد أن يحدد من هو اليهودى ؟ بعيدًا عن إيمانه الدينى، وبمعنى ما أراد « سبينوزا » إخراج اليهودى من إيمانه العبرانى المغلق، وأن يجرد اليهودية من الطقوسية الصارمة التى وضعت اليهودى فى « غيتو » مغلق مضطهد محاصر ، كما أراد أن يحول الديانة اليهودية إلى قومية يهودية .

وكما أذنت ثورة « مارتن لوثر » على الكاثوليكية بميلاد البروتستانتية ذات التوجه التحررى العلمانى فى القرن السادس عشر ، فى المسيحية الأوربية ، كانت

---

(١) انظر : جارودى : فلسطين أرض الرسالات الكبرى ، ص ٢٦١ .

(٢) انظر : د. حسن حنفى : مقدمة ترجمة رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ص ٢٣ وما بعدها ، الهيئة المصرية العامة ـ القاهرة ١٩٧١م .

أفكار (باروخ سبينوزا) توجه تفسيرات نصوص العهد القديم لمسار مشابه فى اليهودية .

كانت هذه الأفكار تتبلور ويزيد تأثيرها فى الأوربيين من جيل إلى جيل داخل المسيحية الغربية ، وداخل اليهودية أيضًا حتى كانت الحروب النابوليونية فى أوربا فى بداية القرن التاسع عشر ، وانعقاد مؤتمر (فينا) المشهور فى سنة ١٨١٥م فثارت أعاصير ، وحدثت انقلابات فى أوربا ، زلزلت فيها النظم الثقافية والسياسية والاجتماعية ، وأذنت بإعادة تنظيم دول أوربا وتحولات الأفكار ، ونشوء قوميات .

هناك دول تكونت من دويلات وإمارات صغيرة مثل : ألمانيا وإيطاليا وهناك دول تمزقت وتحللت مثل الإمبراطورية النمساوية ، ودولة الخلافة العثمانية ، وهناك دول أخرى استقلت عن طريق الانفصال مثل : بلجيكا التى استقلت عن هولندا ، والمجر عن النمسا ، والنرويج عن السويد ، وفنلندا عن روسيا ، واليونان وبلغاريا ، ورومانيا ، وألبانيا عن الدولة العثمانية .

كان العامل الأساسى لهذه التحولات السياسية للدول الأوربية ، نشوء فكرة القومية وتغلغلها فى نفوس الشعوب ، وفاعليتها فى تكوين الدول ، أو كما يقول ساطع الحصرى القومى العربى المعروف : « تأسيس الدول على أساس القوميات ؛ لأن كل أمة من الأمم تكون عضوية اجتماعية طبيعية ذات كيان معنوى خاص ، فيحق لها أن تستقل فى إدارة شؤونها دون أن تخضع لمشيئة أمة أخرى ، وأن تؤسس دولة خاصة بها مستقلة ، ومنفصلة عن غيرها » (١) .

كانت أوربا قبل القرن ١٨ لا تزال تحكم باعتقادات رسختها الكنيسة الكاثوليكية ، بمعاونة الملوك ، فى نفوس الشعوب الأوربية ، وكانت الفكرة التى فرضت على العامة أن الملوك يحكمون شعوبهم بتفويض من الله ، وتخويل منه ، وهم على هذا الأساس يستمدون حقوقهم وسلطانهم من مشيئة الله ، ولذلك كان على هذه الشعوب طاعة ملوكهم ، وخدمتهم دون ما تفكير ، لأن الملك كان

---

(١) ساطع الحصرى : نشوء الفكرة القومية ، ص ٩ ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٥٩م.

وكيلاً لقدرة الله ، وصورته على الأرض - بزعمهم - وكان تقديم الطاعة والولاء والخدمة للملك ، بمثابة تقديمها لله ، كما كان هناك اعتقاد جاسم على صدور الشعوب استمد من رأى للقديس بولس يرى : إن الذين يقصرون فى أداء واجبهم نحو الإمبراطور (أو الملك) يكونون قد خرجوا على النظام الذى فرضه الله ، وعند ذلك يستحقون اللعنة الأبدية .

ولما جاءت الثورة الفرنسية فى آخر القرن الثامن عشر عصفت بهذه الأفكار الموروثة ، وألغت صكوك الغفران ، وجاءت بصكوك حقوق الإنسان ، ومنها خرجت فكرة حقوق القوميات ، أى فكرة حقوق الشعوب ، لا حقوق البابا والملوك وكل أنواع الحكام، وهكذا بذر مبدأ حقوق الشعوب فى الأرض الأوربية، أى أن الشعب مصدر جميع السلطات ، التى تعطى الشعب الحق فى أن يؤسس سلطاته التى تحقق له مصالحه فى مجال التفكير ، الذى جعل كل أمة ترى فيما تجمع من أفراد ، صفات ومشاعر ، يختلفون عن غيرهم ، وهو المفهوم الذى تبلور فيما بعد ، فيما عرف بحقوق القوميات بكيانها الخاص الذى يميزها عن الأمم الأخرى ، ومن هنا أعادت فكرة حقوق بناء الدول الأوربية على أسس : الاعتقاد بوحدة الأصل العرقى ، ووحدة اللغة والتاريخ ، فهما روح الأمة وذاكرتها .

ومهدت مبادئ الثورة الفرنسية فى : الحرية ، والإخاء ، والمساواة لترسيخ فكرة القومية بمكوناتها الجديدة ، وكان زعماء الثورة الفرنسية من التنويريين الذين نادوا بضرورة القضاء على القديم كله ، ومنه الامتياز المسيحى على الأديان غير المسيحية ، خاصة اليهودية التى كانت جاليتها تعيش فى فرنسا منذ قرون طويلة ، مما جعل اليهودى الفرنسى يشعر بأنه مساو للمواطن الفرنسى أمام القانون الذى يسوى بين جميع المواطنين ، ففى ٢١ من سبتمبر ١٧٩١م فى الجمعية التشريعية الفرنسية ، اتخذت خطوة مساواة جميع المواطنين أمام القانون ، وهى الخطوة التى أنهت قرونًا من التمييز العنصرى فى فرنسا .

لقد نادت الثورة الفرنسية بأن العقل الإنسانى كاف لفهم الكون ، ومن ثم فلا حاجة للإنسان أن يرجع إلى الوحى ليستمد منه المساعدة ، وما دام الناس

يستخدمون عقولهم للوصول إلى الأسرار الكونية فهم متساوون ولا توجد فروق بينهم ، وإذا كانت المسيحية تفرق بينهم ، وبين أصحاب الديانات الأخرى ، فيجب أن تزول هذه التفرقة ، لكى يتساوى الناس أمام العقل والقانون ، وكل جوانب الحياة الفكرية والعملية ، وإن كان ما يفرق بين الدين المسيحى ، والدين اليهودى فى الحياة المدنية الجديدة ـ غير ذى بال ، ثم علا شأن هذه الفكرة ، بعد أن أدخلت فرنسا فى دستورها مادة تؤكد أن فرنسا علمانية : Laique وهكذا اندمج اليهود فى المجتمع الفرنسى ، بعد قطيعة دامت قرونًا طويلة .

ولما حمل نابليون بونابرت أبرز أبناء الثورة الفرنسية ، وأقواهم هذه الأفكار مع جيوشه فى أنحاء أوربا ، فقد سيطرت على الشعوب الأوربية ، وأحس اليهود لأول مرة أنهم مواطنون فى البلاد الأوربية التى يعيشون فيها .

لقد أصبح المواطنون جميعًا فى البلاد الأوربية مواطنين فى دولة مدنية تجعل الكنيسة مؤسسة مثل كل المؤمسات المدنية، وأصبح الناس غير مطالبين بالولاء لها؛ بل عليهم أن يدينوا بما يشاؤون ، أو لا يدينون بدين على الإطلاق ، عليهم فقط أن يستجيبوا لنداء العقل فى اتخاذ القرارات الاقتصادية والسياسية والتعليمية ، والثقافية وغيرها .

وإذا كانت الولايات المتحدة التى لا تزال امتدادًا طبيعيًا للقارة الأوربية، فلا بد أن يكون لها دور مؤثر فى تقبل هذه الأفكار من أوربا إلى العالم الجديد ، خاصة وقد برئت من وجود نظم شبيهة بالنظم الأوربية المعقدة مثل النظام الطبقى ، ونفوذ الكنيسة ، فلقد بدأت الولايات المتحدة تطفو على سطح أحداث الحياة فى العصور الحديثة مستعمرة بريطانية ، فلما حققت استقلالها فى القرن الثامن عشر رفعت وثيقة الاستقلال الأمريكى ، وتصريحات الرئيس (جيفرسون) حول تأسيس قاعدة الحرية الدينية ، ودستور الولايات المتحدة ، ووثيقة حقوق الإنسان فى صورة لا تقل أهمية فى مفاهيمها ، عن مفاهيم التنوير الفرنسى الذى انتشر فى أوربا وهو ما جعل اليهود فى الولايات المتحدة يبدؤون تاريخهم مواطنين مندمجين فى الحياة الأمريكية ، لا فرق بينهم ، وبين بقية الأمريكيين من المسيحيين ، ومن أهل الديانات الأخرى .

إن الثورة الفرنسية وفتوحات نابليون ، والثورة الأمريكية ، أزالت الجدار العازل بين اليهود وغير اليهود فى المجتمع الغربى كله .

ولكن كان لليهود رأى آخر ، وقرار مباين فى وضعهم فى هذه المجتمعات ، بعد أن فجر نابليون بونابرت روح القومية فى البلاد الأوربية ، خاصة فى ألمانيا وإيطاليا ، ففى البداية سأل نابليون نخبة يهود فرنسا ، هل يرون فرنسا وطنهم الحقيقى ؟ وهل يشعرون بواجبهم نحوه ، ويريدون أن يحافظوا على قوانينه بالطاعة والولاء لدستوره المدنى ؟

فأجابوا بأنهم غيروا من مفهومهم للدين من كونه قومية دينية ، إلى دين شخصى ، كالمسيحية عند الفرنسيين ، لا يتعارض مع الولاء للقومية الفرنسية .

لكن ـ وكان ذلك فى إنجلترا ـ إذ فاجأ داود ماركس حاخام كنيس لندن صرح فى سنة ١٨٤٥م بعدم التعارض بين الولاءين ولكن إلى حين ، إن اليهود يعلنون بصوت واحد بأنه لا رغبة لنا فى أى بلد سوى مسقط رأسنا ، فإلى البلد الذى ولدنا فيه [يقصد الأجداد الأوائل] نولى ولاءنا ، ويتوقد **شعورنا الوطنى ، وحماسنا القومى** اللذان لا يقلان إخلاصًا وحرارة عن إخواننا المواطنين الإنجليز غير اليهود .

وفسر (رفائيل هرش) رسالة إسرائيل على أنها رسالة روحية عالمية تؤكد أن هذه كانت رسالة « الجالوت » = (المنفى) وأن المنفى لا يزال وسيبقى قائمًا إلى يوم القيامة » (١) .

وفسر الحاخام أبا هليل سيلفر قيام دولة [إسرائيل] على أنه تحقيق الوعد المشيحانى بالخلاص لليهود ، والخلاص الروحى لكل البشرية عندما تكتمل عدالة العالم وأخوته ، وسلامه تحت حكم مملكة الخلاص الروحية » (٢) .

كان هذا رأى الحاخامين الذين يمثلون الجانب الدينى فى اليهودية ، لكن الأمر اختلف بعد ذلك ، عندما تدخلت الصهيونية فى تحريك ما عرف بـ « المسألة اليهودية » فبدأت فكرة القومية اليهودية تستولد من رحم القومية الأوربية .

---

(١) انظر : إسماعيل الفاروقى : الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ، ص ١٠٢ ـ ١٠٥ .

(٢) نقلاً عن د. محمد خليفة حسن : الحركة الصهيونية ، ص ١٨٥ .

والمحصلة النهائية فإن يهود أوربا ، وفى مقدمتهم يهود فرنسا ، لم يرحبوا بتحرير نابليون لهم ، لأن هذا التحرير ، وإن جاء لهم بالانعتاق من « الغيتو » المكانى ، وبالمساواة ، لم يحررهم من سجنهم النفسى ، فقد خرجوا من « غيتو » مكانى أصغر ، إلى « غيتو » زمانى تاريخى أكبر ، ذلك لأن التحرير والانعتاق من شأنه أن يذيبهم فى المجتمعات الأوربية التى يعيشون فيها ، بالاندماج والتزاوج وكل أنواع الاختلاط والمزج ، فيفقدون تمايزهم ، ومن ثم فقد بدؤوا يفكرون فى أرض تجمعهم من الشتات ، يعيشون فيها وحدهم ، ولا يشاركهم فيها أحد من غير اليهود ، لكى يحتفظوا بجوهر الجماعة اليهودية .

أثر أيديولوجية عصر التنوير فى اليهود :

١ ـ كان موسى مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦م) من أهم الشخصيات اليهودية التى تأثرت بفكر التنوير ، وكان مبعث التنوير فى القرن ١٨ من فرنسا وألمانيا ، وكان مندلسون من نابهى اليهود ، درس العبرية والتلمود على الحاخام اليهودى (داود فرانكل) ثم ذهب إلى برلين يقوده ذكاؤه ونباهته ، وهناك تعرف باثنين من أكبر مفكريها وهما الفيلسوف (إيمانويل كانط (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤م) و(لسنج) الذى دفعه إلى حضور الندوات والمناظرات التى تقام فى المحافل (الصالونات) الفكرية والأدبية ، فعرف أساليب ثقافة التنوير ، وكان أول ما تطرق إلى ذهنه فكرة طرحها فى السؤال التالى : لِمَ لا يقدم اليهود على درس مواضع هذا العصر ، والتقدم بأنفسهم ويهوديتهم إلى الأمام » [1] ، كجماعة عرقية قومية ، وليس كجماعة مندمجة فى الأغيار .

وكان همه الأول أن يتعلم يهود ألمانيا الثقافة العصرية ، وعلوم العصر ، فأصدر من أجل ذلك مجلة « هاميعاسف » = « الجمع » وأنشأ مدرسة أطلق عليها المدرسة اليهودية الحرة فى سنة ١٧٧١م فى برلين ، وكان يقدم فيها لليهود دروسًا فى علوم : عصرية وتلمودية .

---

(١) راجع : إسماعيل الفاروقى : الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ، ص ٣٥ ، مكتبة وهبة ، القاهرة فى ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨م .

ومع أن (مندلسون) حاول أن يخرج اليهود ـ فى عصر التنوير من عزلتهم إلى الاندماج فى الحياة مع كل الأوربيين ، غير أن اليهود عاشوا فى عزلتهم حتى أخرجهم منها قيام الثورة الفرنسية .

ولقد أطلق (جارودى) على (مندلسون) = (لوثر اليهودية) على اعتبار أن (مندلسون) عَلْمَن اليهودية ، كما علمن (مارتن لوثر) المسيحية ، كما رأى جارودى أن (مندلسون) هو مصدر (الهسكلاه) التنوير فى اليهودية الإصلاحية المعادلة لمصطلح التنوير Enlightenment فى المسيحية .

وحاز (مندلسون) بجانب ثقافة العصر الأوربية = التنوير، على ثقافة الماضين من اليهود خاصة ثقافة العقلانيين من فلاسفة اليهود وفى مقدمتهم (موسى بن ميمون) فأخذ عنه نظريته العامة التى حصلها هذا الأخير عن ابن رشد ، وهى النظرية القائلة بأنه لا تعارض بين الإيمان الدينى ، والنقد العقلى ، وبذلك يكون (مندلسون) قد خالف ثقافة التنوير الأوربية البحتة التى تؤسس على إدراك المحسوس وحده ، عن طريق الإدراك العقلى وحده ، دون التطرق إلى الإيمان الدينى ، حتى لا يصدم الاعتقاد التوراتى الذى كان لا يزال منغلقًا على ذاته .

ودرس (مندلسون) أيضًا مؤلفات المفكر اليهودى ابن القرن ١٧ (باروخ سبينوزا) الذى يمثل حلقة مهمة فى كل من دراسات التنوير واللاهوت ، والنقد التاريخى للتوراة ـ وقام بترجمتها على غرار ترجمة (مارتن لوثر) للكتاب المقدس فى القرن ١٦ ليكون فى أيدى الناس ، غير مقصور على رجال اللاهوت الذين كانوا يستنبطون له التفسيرات على هواهم بحسب مصالحهم ومصالح الحكام ، لقد وضع (مارتن لوثر) بهذه الترجمة إلى الألمانية الكتاب المقدس فى أيدى الشعب الألمانى ، وفتح الباب لكى يترجم إلى لغات أوربية شعبية ، وفعل (مندلسون) الشيء نفسه بمؤلفات (سبينوزا) فكتب لها شروحًا توائم بين الإيمان الدينى والاستنارة ـ كما فعل (مارتن لوثر) فى المسيحية ، ودعا اليهود إلى ترك التلمود، عدا الإيمان بقيمته الأخلاقية والتاريخية ؛ لأنه من تقاليد الماضى اليهودى ، الذى لم يعد صالحًا لليهود فى الحاضر والمستقبل .

ووجه (مندلسون) دعوة إلى اليهود إلى الانفتاح على ثقافات الآخرين ، وإلى حب الإنسانية ، ومن أجل سلام اليهود وجه كلمته قائلاً : « للأسف يا إخوانى لقد تحملتم نير التعصب ، ولقد خدعت الشعوب كلها حتى الآن بفكرة أن الدين يمكن أن يصان بيد من حديد، لقد تألمتم بقدر كاف من أجل ميلكم إلى التفكير فى ماضيكم ، اتبعوا طريق الحب ، كما عرفتم ـ حتى الآن ـ طريق الكراهية » (١) .

ومضى هذا التيار الذى أسسه (مندلسون) دون أن يكون له تأثير مباشر فى الحركة القومية الصهيونية ، لأنه اعترض على فكرة إعادة بعث قومى لليهود فى فلسطين وتعريف [إسرائيل] على أنها مجتمع دينى لا قومى ، ونشر انتظار ظهور المسيح المخلص على أنه أصل فى خلاص الإنسانية ، ولكن على أسس من أفكاره الإصلاحية أسّس أول معبد إصلاحى فى (هامبورج) افتتح فى سنة ١٨١٨م .

ولعل النزعة القومية السائدة فى القرن ١٨ لم تسمح باستمرار هذا التيار التحررى الإصلاحى الذى نادى به بعض اليهود مثل (مندلسون) وليس كل اليهود الذين تباينت توجهاتهم فى خضم تيارات الفكر السياسى الذى كان يسير نحو القومية فى أوربا ، وواكبتها التيارات اليهودية المماثلة .

وكان لظهور تيارات يهودية خاصة فى الحركة (الحسيدية) (Hassidism) تلك الحركة اليهودية الروحية التى ربطت صوفية الأرض باستعمار فلسطين ممهدًا لتطور اليهودية نحو القومية فوافقت أفكار (مندلسون) .

ولكن المسألة التى يلزم التنويه إليها أن (موسى مندلسون) حاول تطوير فكره ليتوافق مع التطور الذى حدث للجماعات اليهودية فى أوربا ، ولذا فإن أهم أفكاره فى العقد الأخير من حياته ، تمحورت حول بعث قومى لليهود ، وفكر تنويرى فى الوقت نفسه ، فهو يقول فى كتاب (أورشليم) الذى أصدره فى سنة ١٧٨٣م : « إذا أراد المواطن اليهودى أن يكون موظفًا أو سياسيا ، أو تاجرًا ، أو زارعًا ، أو عاملاً ، أو جنديًا فعليه أن يحسن الواجب القومى المنوط به ، ويجب عليه ألا ينظر فى أمر الدين ، بل يجب عليه أن ينحيه عن المجالات العملية ،

---

(١) جارودى : فلسطين أرض الرسالات الكبرى ، ص ٢٦٤ .

وإذا أراد المواطن أن يتمتع بحرية الفكر وأن يعمل بها ولها ، وأن يكون فى ذلك خلاقًا فعالاً ، مفجرًا لطاقاته ، يجب عليه أن ينحى الدين عن المجالات النظرية أيضًا » (١) .

وهذا هو عين فكرة التنوير فى أدبيات التنوير فى القرن ١٨ فى كل أنحاء أوربا .

أما رأى (مندلسون) فى التوراة فكان يتفق مع فكر التنوير نفسه الذى رأى أن الدين اليهودى ليس عقيدة موحى بها من السماء ، إنما هو شريعة تُلقيت عن موسى ، فسرها الحاخامات فى التلمود على أنها قانون خاص باليهود لم تأت بما يجب أن يؤمن به اليهودى ، بل بما يجب عليه فعله .

لقد أراد (مندلسون) أن يحل اليهودى من أسر التوراة لكى يعمل فكره بنفسه بقيادة عقله ، أما السلوك فيجب أن يتقيد بقوانين التلمود .

فى ذلك الوقت كان الاتجاه الدينى المتمسك بالتوراة سائدًا بين اليهود ، وكان الحاخامات المحافظون المتمسكون بالشريعة يمنعون من الاشتغال بالقضايا الثقافية التى لها علاقة بحركة التنوير .

ولكن حركة التنوير فى اليهودية اتخذت موقف اللا مبالاة من هذا الاتجاه ؛ لأنها كانت متأثرة بتيار الحداثة الغربى ، وبالحضارة الغربية ، وبتيار الاستنارة فيها، وبالقومية الغربية ، ومن هنا فقد سعوا إلى رؤية قومية ، بإضافة عناصر ثقافية جديدة ، تولدت عن الاتجاه العقلانى فى الثقافة الأوربية .

أما فيما يتعلق بحركة الصهيونية السياسية التى بدأت إرهاصاتها ، فقد نظروا إليها على أساس أنها وسيلة مهمة لتجميع اليهود من الشتات فى دولة قومية ، ووسيلة لإقامة مجتمع يهودى جديد ، وقبلوا التوجه العلمانى للحركة الصهيونية على أساس أنه ناتج عن قوة الطابع الثقافى والسياسى فى أوربا ، وأنه أكثر فعالية، كما أن من شأنه أن يقرب الحركة الصهيونية من المناخ الثقافى الأوربى العام فينفعل المجتمع الغربى معها ، ويقدم المساعدة لها ، وصحت هذه الفكرة ؛ لأن المجتمع الغربى كان على استعداد تام للتعامل مع صهاينة علمانيين ، لا متدينين .

(١) إسماعيل الفاروقى : الملل المعاصرة فى الدين اليهودى ، ص ٣٦ .

ومع أن المتدينين ظلوا يشكلون أقلية قليلة جدًا فى المجتمع اليهودى ، وعلى الرغم من أن البون بين الأيديولوجية الصهيونية ، والدين اليهودى كان شاسعًا فقد حرصت الحركة الصهيونية العلمانية على أن تظل مرتبطة بالدين ارتباطًا لا تنفصم عراه فى مجالات أساسية ، ويتجلى هذا الارتباط فى مجال توظيف الرموز والمضامين فحينما يُرِد الصهيونيون تقديم مضامين يهودية إلى العالم الحديث يعودون إلى الرموز الدينية » (١) .

وكان (مندلسون) من أهم المفكرين اليهود الذين وجهوا نظر اليهود إلى ضرورة جنى ثمار العلمانية فى أوربا والإفادة منها ؛ لأن التطور السياسى بأوربا ، والاتجاه العلمانى فيها كان مواكبًا لتحرر اليهود ، وكان قبول الجماعات اليهودية فى المجتمع الأوربى يقوم على أساس الكفاءة العملية ، لا على أساس الدين .

لكن هذه النظرة التنويرية العلمانية التى دعا إليها (مندلسون) لم يكن لها تأثير كامل فى اليهود ـ من وجهة نظر الفكر الصهيونى القومى على الأقل ، لأن فكرة قبول المجتمع الأوربى لاندماج اليهود فيه ، ستحرر اليهودى ، وتجعله مواطنًا مندمجًا فى دولة لا تدين باليهودية التى هى قومية اليهودى ذاتها ، لقد نظرت الصهيونية إلى هذه الأفكار على أنها تعمل على تذويب اليهود ، وتحيل بينهم وبين أن يكونوا أمة يهودية قومية .

لكن (مندلسون) مع تأثره بالتنوير ، ومع أنه كان يطالب اليهودى بأن يتخلص من منفاه النفسى داخل ذاته ، وبأن يندمج فى المجتمع الذى يعيش فيه ، أنه خالف حركة التنوير فى النظرة إلى الدين ، فقد نظر (كانط) صديق (مندلسون) وأهم علماء التنوير الأوربى فى القرن ١٨ إلى حقائق الدين ، ووجود الله ، وحرية الإرادة وغير ذلك ، على أنها تقع خارج المعرفة الإنسانية ، وأن الإنسان لا يستطيع أن يفصل الحقيقة إلا من خلال التجربة الإنسانية ، وأن الإنسان يلتمس وجود الرب من خلال وجود الاتجاه الأخلاقى الذى يعتقده .

---

(١) د. أفيفا أفيف: المجتمع الإسرائيلى، ص ٢٢ ترجمة د. محمد أحمد صالح، مراجعة: د. محمد محمود أبو غدير ـ تقديم وإشراف د. محمد خليفة حسن ـ نشر مركز الدراسات الشرقية ، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية ، العدد ٦ ، القاهرة ١٩٩٨م .

القانون الأخلاقى ـ عند (كانط) ـ وحده ، قانون مستقل يفيض عن الإرادة العقلية وحدها ، باختياره وإرادته ، وأن مصدر المعرفة بوجود الله ، والإيمان به والاتجاه الأخلاقى فى الإنسان ، هو الذى يحقق له الإحساس بكل الأمور الفطرية والروحية فيه .

ولكن (مندلسون) رأى أن الوحى الإلهى للشريعة اليهودية يتجلى فى الشعور الفطرى والوجدانى لدى الإنسان ، ومن ثم فإن أصل التوراة والديانة اليهودية يعود إلى مصدر خارج الإنسان ، وليس للإرادة العقلية ، أو الاتجاه الأخلاقى ، وأن الطقوس الدينية جزءٌ لا يتجزأ من الشريعة اليهودية ، التى لا يمكن نسخها ، بمعنى أنها نهاية الديانات .

ومع أن (مندلسون) كان رائدًا فى الدعوة إلى الانغماس فى الثقافة الأوربية، فقد كان فى الوقت نفسه مطالبًا بتمسك اليهودى بدينه وطقوسه ، بحيث يكون اليهودى مواطنًا أوربيًا ، مؤمنًا بثقافة التنوير ، وفى الوقت نفسه مؤمنًا بالديانة اليهودية ، وهذه الدعوة أفاد منها مؤسس الصهيونية السياسية (تيودور هرتزل) مع أنه كان ملحدًا ـ عندما أعلن فى المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل ١٨٩٧م مساويًا بين : اليهودية والصهيونية قائلاً : « إن الصهيونية عودة إلى اليهودية قبل أن تكون عودة إلى الوطن اليهودى »[١] .

كانت بذور القومية قد بدأت تنبت فى ألمانيا ، ولكنها لم تتمكن من الشعب الألمانى إلا فى سنة ١٨١٣م أى بعد موت (مندلسون) بربع قرن ، ولهذا لا يكاد أحد يجد فى كتاباته ما يشير إلى نزوعه إلى المشاركة فى القومية الألمانية ، لأن «أورشليم = بيت المقدس) كانت قبلته ، مع أنه كان يعيش فى برلين .

ولكن (هاينه ١٧٩٩ ـ ١٨٥٦م) ذلك اليهودى الذى تشبعت روحه بدرجة أقل من (جيته) شاعر الألمانية الفحل ، بتلك الخلة التى غازلت روح القومية الألمانية المتفجرة فى تقديرها ، ومع أن (هاينه) قضى طفولته فى (دسلدورف)

---

(١) تيودور هرتزل : فى افتتاح المؤتمر الصهيونى الأول : كتابات صهيونية ص ١٣٣ نيويورك ١٩٧٣م نقلاً عن محمد خليفة حسن : الحركة الصهيونية ص ٢٠١ .

حيثما كانت حاضرة دوقية (برج) وجزءً من الإمبراطورية النابوليونية ، وكان مولعًا بالثقافة الفرنسية، ويفضل الفرنسيين على الألمان، ويبجل كسائر يهود ألمانيا (نابليون بونابرت) باعتباره محرر الجنس اليهودى السامى » [1] كان يمهد لقومية يهودية.

وهكذا أخذت الكتابات اليهودية توجه نظر اليهود فى الشتات الأوربى إلى أهمية أن يكون لهم وطن قومى يجمعهم ، وكان فى مقدمة الكتاب الداعين إلى قومية يهودية مثل : (موسى هس) ، و(ليون بنسكر) وغيرهما كما سنرى .

لما أذنت الكتابات اليهودية بميلاد حركة قومية يهودية فى القرن ١٩ ، ولما كان للقومية أساسان ضروريان مهمان ترتكز عليهما هما : الأرض واللغة المشتركة ، ولما كان اليهود حتى ذلك الوقت لا تجمعهم أرض تخصهم ، ولا لغة يلتقون حولها ، فقد دعت الكتابات اليهودية إلى أهمية وجود الأرض واللغة المشتركة ، ومن هنا بدأت الأنظار تتجه إلى أرض فلسطين ، وإلى إحياء اللغة العبرية .

يضاف إلى ما سبق حتمية وجود حركة سياسية تنبه اليهود إلى ضرورة القومية اليهودية لإقامة كيان يهودى يعرف به العالم ، فتكونت الحركة الصهيونية السياسية تعيينًا، حركةً علمانية لا دينية، قد تلجأ إلى الدين إذا ما أعوزتها حاجة نفعية إليه.

والصهيونية السياسية كما عرفها (دايفيد فايتل) أستاذ علوم الدولة بجامعة تل أبيب « حركة فى أساسها متمردة على التقاليد الدينية اليهودية ، وعلى الأرثوذكسية اليهودية بشكل خاص ، حتى إنها تعتبر الأرثوذكسية عدوًا لها ، وخصمًا لدودًا ، فى الوقت الذى نظر اليهود الأرثوذكس فيه إلى الصهيونية باعتبارها خطرًا يهدد اليهود واليهودية » [2] .

ولقد كان أعلام الصهيونية السياسية ـ وكلهم من العلمانيين يرون ـ أن رجال الدين اليهودى غير قادرين على إدارة شؤون اليهود ، أو تقديم حلول جذرية

---

(١) هربرت فيشر : تاريخ أوربا فى العصر الحديث ، ص ٩٨ ، ترجمة : أحمد نجيب هاشم ، ط ٧ ، دار المعارف ١٩٧٦م .

(٢) أنيتا شابيرا : مقدمة كتاب : الصهيونية الدينية مدخل تاريخى = تحرير ، ص ٤٠٣ ، مركز الدراسات الشرقية ـ جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية العدد ٣ مارس ١٩٩٨م .

لمشاكلهم فى العصر الحديث ، فضلاً عن تصفية المنافى التى يعيش فيها اليهود منذ آلاف السنين .

وبالمقابل فإن اليهودية الدينية ترى فى رجال الصهيونية السياسية مجموعة من الأشرار يهتمون فقط بإعادة تنظيم الجماعة اليهودية على أساس القومية لا الدين ، وتحويل الديانة اليهودية من دين إلى قومية ، ولذلك فسيجلبون الدمار لليهود ، باستعجال العودة إلى فلسطين ؛ لأن وجود اليهود فى الشتات كما يرى الحاخامات الأرثوذكس المتمسكون بحرفية التوراة حكم إلهى عادل ، وعقوبة سماوية يجب على اليهود أن يتقبلوها ، وينتظروا عودة (الماشِح) ليخلصهم من آثامهم ويعود بهم إلى أرض الميعاد ، ولذلك فقد كان طبيعيًا أن يوجه الحاخامات المتدينون رسائل النقد لجماعة « محبة صهيون » وجماعة « أبناء موسى » الذين هاجروا إلى فلسطين فدنسوا الرب والتوراة ، والأرض المقدسة بابتعادهم عن تعاليم الرب » [1] .

ولكن مع ما بينهم من خلاف فى الحركة والاعتقاد ، فقد انتهى الطرفان إلى حل وسط تفيد منه خطة العودة ، تتلخص فى أن يتفق الجانبان على أن تقوم الثقافة اليهودية من داخل التعليم والتعاليم العبرية ، والتاريخ التوراتى باللغة العبرية ، والأدب العبرى ، وبذلك يبقى الجميع : المتدينون والعلمانيون داخل الحظيرة المتجددة للصهيونية .

وبهذه الطريقة التوفيقية بين الحركة الدينية الأرثوذكسية ، والصهيونية العلمانية السياسية التى تسير فى طريق الواقع العملى النفعى لتحقيق الهدف القومى ، لإقامة الدولة القومية ، والاكتفاء بكون الدين مكون الثقافة اليهودية ، التى هى ثقافة دينية من وجهة نظر المحافظين ، وهى فى الوقت نفسه ثقافة قومية من وجهة نظر السياسيين العلمانيين القوميين ، بل تعد مثالاً مناسبًا للتوجيه الثقافى الرامى إلى جعل اليهودية قومية ، وتحويل الدين القومى إلى ديانة قومية .

وكما يرى (دافيد فايتل) : إن العلمانيين داخل الحركة الصهيونية تعاملوا مع الحاخامات ، ومع الديانة اليهودية ، على الأخذ فى الاعتبار بأهمية القوة ، وبمدى

---

(١) أنيتا شابيرا : مقدمة كتاب : الصهيونية الدينية مدخل تاريخى = تحرير ، ٤٠٣ ، مركز الدراسات الشرقية ـ جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية العدد ٣ مارس ١٩٩٨م .

المكانة والسيطرة التى يحتلها الحاخامات المحافظون داخل اليهودية، خاصة فى أوربا الشرقية التى كانت مخزن اليهود البشرى حتى القرن ١٩ ، ولذلك فإن الصهاينة المؤسسين ـ وكلهم علمانيون ابتداء من (تيودور هرتزل) والذين جاؤوا من بعده وقروا الحاخامات ، وقدروا مكانة الحاخامية للغاية ، لما لديها من قوة التأثير على الجماعات اليهودية فى الشتات ، ومن هنا كان الصهاينة العلمانيون يرون أنه من الأفضل الإبقاء على إقامة جسور اتصال معهم ، واستغلال قوة تأثيرهم الدينى فى عامة اليهود لمصلحة الصهيونية،وتحريك تلك القوة إلى ما يشبه التحالف معها»[١].

وبالفعل استطاعت الصهيونية السياسية أن تجتذب إلى صفوفها بعض الحاخامات المحافظين ، وعلى رأسهم الحاخام موهليبر الذى يعد صهيونيا دينيا ـ بالمفهوم التوفيقى ـ على حد تعبير دافيد فايتل الذى نقل عن موهليبر قوله قبل وفاته : « توراتنا المقدسة يجب أن تكون الأساس لعملنا القومى » .

ولهذه العبارة كما صرح (فاتيل) ثلاثة أبعاد :

الأول البعد اللاهوتى ، أى قضية استعجال النهاية ، وتغيير النظرة إلى الشتات ، وهو وضع له ما يبرره من حيث « عدالة الحكم الإلهى ، وعقوبة سماوية .

الثانى : وهو بعد مرتبط بمشكلة عملية تبرز من حقيقة أن الشريعة والتقاليد اليهودية ، هى ثمرة للشتات ونتيجة لفقدان الاستقلالية السياسية ولكن : هل الشتات يتمشى مع وجود دولة يهودية .

الثالث : العلاقة المتبادلة بين الدين أو القومية الدينية ، وبين القومية العلمانية، ومدى التوفيق بينهما » [٢] .

وبالإضافة إلى ما سبق فإن زعماء اليهود عندما فكروا فى إقامة وطن قومى يجمع يهود الشتات كان عليهم أن يوجدوا مبررات تقوم على قاعدة عنصرية ومن

---

(١) دافيد فاتيل : مبحث إشكالية الصهيونية الدينية ـ ضمن مباحث كتاب : الصهيونية الدينية مدخل تاريخى المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) دافيد فاتيل : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

ثم بدؤوا يؤكدون على أن اليهود عنصر بشرى متميز ، وقد ساعدهم على إيجاد هذه المبررات أن الأفكار العنصرية كانت موجودة بصورة فعالة فيها فى أوربا ، وكانت تستخدم من أجل تبرير استعمار الرجل الأبيض للشعوب غير البيضاء ، ثم زكتها نظرية (دارون) فى أصل الأنواع وتفوق بعضها على البعض الآخر ، إذن فالفكرة كانت موجودة فى الأرض الأوربية التى تشتت فيها اليهود ، ثم بدأت خرافة (شعب الله المختار) تسيطر على العقلية اليهودية فى مواجهة نظرية (دارون) فى الارتقاء ، وبدأ معلمو الصهيونية يُشيعون فى الناس ويبثون فيهم أسطورة أن شعب الله المختار منسول من الأسباط الإثنى عشر : أبناء يعقوب = إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم السلام ، وأنهم لم يختلطوا بغيرهم من أهل الأعراق الأخرى ، وتجاهل هؤلاء ما حدث لليهود عبر الأزمنة والأمكنة على مدار آلاف السنين ، وكيف اختلطت أعراقهم بطرق شرعية ، وغير شرعية ، وعن طريق التحولات الدينية من اليهودية وإليها عبر القرون . فهم قبل الإسلام قد امتزجوا بالكنعانيين والمصريين والهكسوس ، والبابليين والفرس والرومان ، ودخل فيهم من اليمنيين وهم عرب فى أول القرن السادس الميلادى فى عهد ذى نواس خلق كثير ، كذلك تحول شعب الخزر إلى اليهودية بعد الإسلام فى القرن السابع الميلادى ، كما دخلت جماعات كثيرة فى روسيا فى اليهودية فى القرنين ١٥ ، ١٦ الميلاديين ، كما اختلطوا بأجناس شتى فى العالم العربى .

ومع أن الإحصاءات تقول : إن أكبر تجمع لليهود بالعالم الآن بالولايات المتحدة ـ بنيويورك ، إذ يبلغ عددهم ٦,٠٠٠,٠٠٠ ستة ملايين يهودى ، إلا أن الحقيقة تؤكد أن نصف هذا العدد قد اختلط ذكورًا وإناثًا بزيجات أمريكية ، وحدث امتزاج عرقى باندماجهم فى الحياة الأمريكية ـ بكل الأجناس العرقية المتباينة التى تعيش فى الولايات المتحدة . وهذا ما حدث اليوم كالذى حدث فى الماضى فى اختلاط اليهود بالأعراق الأخرى التى عايشوها .

اليهود أنفسهم يعرفون الفروق العرقية بين يهود اليمن ذوى الأصول العربية ، ويهود الفلاشا الذى جاؤوا من بلاد الأحباش، ويهود الهند ، ويهود الصين ويهود أوربا الذين انقسموا إلى عرقين : أشكناز [ومن معانيها اليهود الألمان] والسفارديم

[ومن معانيها اليهود الإسبان] والعرق الأول أشقر فكيف يكون ساميًا ؟ والثانى: مثل أبناء البحر الأبيض المتوسط ، فكيف يكون عبرانيًا ، وكل من العرقين يرى أنه صاحب ميزة مؤثرة فى تاريخ اليهود على العرق الثانى .

وبينما كان الأشكناز يتكلمون (اليديشية) وأكثر كلماتها من اللغة الألمانية المختلطة باللغة العبرية ، كان السفارديم يتكلمون (اللادينو) وأكثر كلماتها من اللغة الإسبانية .

ولم تكن وحدة العرق ـ كما روجت الصهيونية ـ إلا تبريرًا لاختلاق قومية يهودية ؛ لأن اليهود أكثر أهل ديانات العالم تشتتًا عرقيًا ، ولقد حكم عليهم تاريخهم بذلك ، يؤكد ذلك (رافاييل باتاى) أحد زعماء الصهيونية ، ومدير معهد (هرتزل) بمدينة نيويورك قائلاً : « إن ما وصل إليه علم الأجناس الطبيعية ، يبين أنه لا يوجد عنصر يهودى بعكس المعتقد الشائع » [1] . لإثنية نقية .

ولقد ادعت الصهيونية أن الجنس اليهودى يشكل قومية ، وأخذ مفهوم القومية يسرى فى كل مشروعاتهم ، ومنظماتهم الاحتلالية مثل : الوطن القومى لليهود ، والصندوق القومى لليهود وغيرها .

ومع أن ادعاء القومية اليهودية ليس له أساس تاريخى ، غير أن الصهاينة تمسكوا به ليربط بينهم ، ويوجههم نحو هدف إنشاء وطن قومى ، وإحياء اللغة العبرية ، وكانت قد ماتت ، وكان اليهود يتكلمون لغة البلاد التى تأويهم ، وإن برزت فى لغة الأوربيين منهم اللغة (اليديشية) فكتبوا بها بعض آدابهم ، مع أن هذه الفكرة لم تَرُق لكل اليهود .

وكان لليهود تجربة سابقة فى مركز تجمعهم فى الاتحاد السوفيتى ، فقد جمعوا فى إقليم (بيروبيجان) ولكنهم كانوا يتسللون منه ويتركوه إلى أماكن أوسع وأرحب ، ولهذا لم يكن غريبًا على اليهود أن يتفرق ثلثاهم فى الشتات حتى اليوم، مفضلين الحياة فى أوربا ـ خاصة فى فرنسا ـ والولايات المتحدة على مركز تجمعهم القومى المزعوم .

---

(١) إسماعيل صبرى عبد الله : فى مواجهة إسرائيل ، ص ٤١ سلسلة اقرأ رقم ٣١٩ فى يوليو ١٩٦٩ .

ومع هذا تصر الصهيونية السياسية على أن تصف نفسها بأنها لا تعرف اليهودية على أنها دين ، بل قومية إثنية ، وهذا التوجه العلمانى القومى ، يجعل الصهيونية كينونة منفصلة عن كينونة التقليد الدينى اليهودى ، فهى تقوم على أساس افتراض شائع لتقليد آخر ، هو تقليد القومية الغربية فى القرن ١٩ قرن القوميات فى القارة الأوربية » (١) .

(١) راجع : رجاء جارودى : فلسطين أرض الرسالات ، ص ٢٧ .